

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

العباس ابن عمه - وكان من أهل العلم - قال : شهدت ليلة من الليالي بالبادية وكنت نازلاً عند رجل من بني الصّـيّداء من أهل الفصيم فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق فأتيت أبا مـثـؤـواي فقلت : إني قد هـلـعـت من الغربـة واشتـقـت أهلي ولم أـفـد في قـدـمتي هذه عليكم كبير علم وإنما كنت أغـتـفر وحشة الغربـة وجـفاء البادية للفائدة فأظهر توجـّـعاً ثم جفاء ثم أبرز غداء فتغديت معه وأمر بناقة له مـهـرية فارتحلها واكـتـفـلها ثم ركب وأرـدـفـني وأقـبـلـهـا مـطـلـع الشمس فما سرنا كبير مسير حتى لـقـيـنـا شيخاً على حمار وهو يترنم فسلم عليه صاحبي وسأله عن نسبه فاعـتـزى أسدياً من بني ثعلبة فقال : أنشد أم تقول فقال : كـلـا فقال : أين تـؤم فأشار بيده إلى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه فأناخ الشيخ وقال لي : خذ بيد عمك فأنزلـه عن حماره ففعلت فألقى له كساء ثم قال : أنشدنا - يرحمك الله - وتصدّق على هذا الغريب بأبيات يـعـيـهن عنك ويذكرك بهن فقال : إيها الله إذا ! ثم أنشدني : [- من الطويل - .

(لقد طال يا سوداء منك المواعد ... ودون الجـدـا المأمول منك الفـراقـدُ) .

(تمنينا غداً وغيمكم غداً ... ضـبابٌ فلا صحوٌ ولا الغيم جائد) .

(إذا أنت أـعـطيت الغنى ثم لم تـجـد ... بفـضل الغنى أـلـفيت مالـك حامدُ) .

(وقلّ غـناءً عنك مالٌ جمعته ... إذا صار ميراثاً ووـاراك لاحد) .

(إذا أنت لم تـعـرّك بجنبك بعض مـا ... يـرـيب من الأدنى رـمـاك الأبعادُ) .

(إذا الحلم لم يـغلب لك الجهل لم تزل ... عليك بـرؤوق جـمّة ورواعد) .

(إذا العزم لم يـفرج لك الشـدّ لم تزل ... جـنـيباً كما استتلى الجـنـيبة قائد) .

(إذا أنت لم تترك طعاماً تحبّه ... ولا مـقـعداً تـدعى إليه الولائد) .

(تجلّلت عاراً لا يزال يشـبّه ... سباب الرجال : نثرهم والقصائد) وأنشدني أيضاً : [

- من الطويل - .

(تعزّ فإن الصبر بالحرّ أجمل ... وليس على رـيّب الزمان مـعـوّل)